الصهيونية والهاجس الديمغرافي

د. محمود محارب

«يجب ان يكون واضحاً لنا انه لا مكان للشعبين معاً في البلاد... والحل الوحيد هو ارض ـ اسرائيل، على الاقل ارض ـ اسرائيل الغربية، بدون عرب. لا مكان، هنا، لحلول وسط. وما من طريق اخرى سوى ترحيل العرب من هنا الى الدول المجاورة، ترحيلهم جميعاً... يجب ان لا تبقى اية قرية، او قبيلة؛ يجب ترحيلهم الى العراق وسوريا وحتى الى شرق الاردن. ولتنفيذ هذا الهدف، يمكن توفير اموال كثيرة. وبعد الترحيل فقط تستطيع البلاد ان تستوعب الملايين من اخوتنا، وتجد المسألة اليهودية نهاية وحلاً» (يوسف فايتس، القدس، ٩/١٢/١٩٤٠).

كما كانت عليه الحال في الماضي، لا يزال مجرد وجود شعب مسالم يكد ويعيش في وطنه من عرق جبينه منذ آلاف السنين يشكل هاجساً دائماً للحركة الصهيونية واسرائيل. وفي الآونه الاخيرة، اخذ هذا الهاجس يزداد حدّة، فشرع اولئك الذين حلّت بهم ارواح مشاهير الطغاة يضعون خططاً، ويصدرون بيانات، تدعو الى طرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه. ولعل التصريحات العلنية، والمتكررة، لشخصيات واحزاب اسرائيلية لها نفوذها وتأثيرها في المجتمع الاسرائيلي، المطالبة، جهاراً، بطرد الفلسطينيين، بعد ان كان هذا الموضوع يحاط بالسرية عادة، لخير مؤشر الى جدية المنادين بالطرد، ومدى استعدادهم للمضي قدماً في تحقيق نواياهم.

جذور فكرة الترحيل

تعود جذور فكرة طرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه الى صلب الصهيونية. فقد انبثقت هذه الفكرة من الحركة الصهيونية، ورافقت تطور المشروع الصهيوني في فلسطين، منذ نهاية القرن الماضي وحتى يومنا هذا. وما كانت الاهداف الصهيونية الاساسية لتتحقق دون طرد الفلسطينيين جميعاً، او معظمهم، من فلسطين. فمجرد وجود الشعب الفلسطيني في وطنه يتناقض، تناقضاً حاداً، مع الصهيونية واهدافها في فلسطين. ولكي يتسنّى فهم ذلك، لا بدّ من التوقف عند اهداف الصهيونية.

يتفق الباحثون، سواء المؤيدون للصهيونية او المعارضون لها، على ان اهداف الحركة الصهيونية الاساسية تتمثل في النقاط التالية: اولاً، نفي «المنفى» وجمع «شتات» يهود العالم في «ارض ـ اسرائيل»؛ ثانياً، انشاء دولة يهودية في «ارض ـ اسرائيل»؛ ثالثاً، تكون هذه الدولة ملجأ آمناً لليهود، ونبراساً يستضيء به الاغيار.

لو ان فلسطين كانت خالية من السكان، أو ان آباء الصهيونية وجدوا منطقة في العالم خالية من البشر، لما واجهت الحركة الصهيونية مشاكل تعرقلها في تحقيق اهدافها. اذ كان بالامكان، وخاصة في ضوء انتشار اللاسامية في اوروبا، نقل اليهود، او من شاء منهم، الى البلد المنشود. ولكن، لمّا كان